دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	اللسانيات البنيوية
المصدر:	الفكر العربي (معهد الإنماء العربي) - لبنان
مؤلفين آخرين:	باقر، مرتضى جواد(مترجم)
المجلد/العدد:	مج 16, ع 82
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1995
الشهر:	خريف
الصفحات:	159 - 176
رقم MD:	319930
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	السياسة الاجتماعية، اللسانيات البنيوية، اللسانيات، الأصوات اللغوية، التطور اللغوى، الانثروبولوجيا الحضارية، التقد الحضاري، اللغات الرومانسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/319930

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

اللسانيات البنيوية(**)

ترجمة
مرتضى جواد باقر(*)

في عام 1913، سنة وفاة سوسير، لم تكن فكرة أنه سيعتبر الشخصية الرائدة في اللسانيات التزامنية(***) في القرن العشرين لتثير إلا الضحك؛ إن هي طرأت على بال أحد. فكتاباته كلها تناولت التطور التاريخي في اللغة (فهو قدَّم إسهامات مهمة في اللسانيات الهندية الأوروبية المقارنة)، ولم يبدأ إلا في السنين الأخيرة من حياته بإلقاء محاضرات عن التزامنية. ولكن ما إن توفي حتى قام اثنان من زملائه في جامعة جنيف بإعداد الملاحظات التي أخذها عنه بعض طلبته في تلك المحاضرات للنشر. وفي حين لم يحز هذا الكتاب **محاضرات في اللسانيات العامة** غير اهتمام قليل حين ظهر في السوق، نجد أنه، وبعد خمس وعشرين سنة، أصبح الكثير من لسانيي العالم المعروفين يعدّونه مصدر إلهامهم الرئيس. ولم تتأثر سمعة سوسير حتى بما اكتشف في الخمسينات من أن هذا الكتاب يبتعد في نواح مهمة عن ملاحظاته هو التي أعدها لمحاضراته، وكذلك عن ملاحظات طلبته التي بني عليها. فالأسطورة الآن أكبر من الرجل. ولا غرابة إن رأينا ازدهار «صناعة صغيرة» مكرّسة لاستخلاص ما كان سوسير «يعتقده فعلاً».

إن المبدأ الرئيس في «المحاضرات» هو أن انتظام اللغة مقصور على فرع منها محدد، ويمكن استخلاصه من مجموع الكلام. وهذا الجزء هو ما دعاه سوسير اللسان Langue، وهو الجزء الذي قابله سوسير بالكلام Parole.

فاللسان يمثّل النظام المجرد للعلاقات البنيوية الذاتية المتأصلة في اللغة، وهي علاقات يشترك فيها كل أعضاء الجماعة اللغوية؛ في حين يمثّل الكلام Parole فعل الكلام الفردي والذي لا يمكن أن يتكرر على نحو متماثل أبداً. وقد شبّه سوسير اللغة بالسمفونية؛ فاللسان Langue يمثّل اللحن غير المتنوع؛ أما الكلام Parole فهو يمثّل الأداء الفعلي الذي لا يتماثل اثنان فيه أبداً. ولأن اللغة من وجهة نظر سوسير تؤلف نظاماً بنيوياً متماسكاً، فإن أي مقاربة للغة مكرّسة لتفسير عمل هذا النظام الداخلي أصبحت تعرف بأنها «اللسانيات البنيوية» أو مجرد البنيوية.

(*) أستاذ جامعي، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

(**) «الفصل الثالث» من كتاب **السياسة في اللسانيات**، تأليف فريدريك نيومير The Politics of Linguistics, by F. Newmeyer, 1986.

(***) اللسانيات التزامنية هي دراسة لغة محددة في لحظة زمنية معيَّنة بدون النظر في المراحل التاريخية التي مرّت بها هذه اللغة، وتقابل هذه، الدراسات التاريخية التي تدرس تغيّر النمط اللغوي، أو جانباً منه تاريخياً.

تدرس كل أنواع اللسانيات البنيوية اللغة التي تريد تحليلها وفقاً لحدود هذه اللغة وسماتها، كموضوع بحث متميز. ونتيجة لذلك، فإن المبادىء التي تحكم اللسان Langue تبرز بحركيتها الداخلية الذاتية. فهي ليست انعكاسات لمبادىء طورت في حقول أخرى من حقول البحث، كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الفسيولوجيا، إلخ... وبهذا المعنى، فإن نتاج التحليل البنيوي ـ القواعد ـ شيء مستقل عن سواه. وهكذا فإن اللسانيات البنيوية تكوّن حقلاً مستقلاً[1].

وفي العادة، فإن النماذج التي ترسم للسان تتكون من ثلاثة أجزاء: الفنولوجيا الذي يتناول المبادىء التي تحكم ضم الأصوات إلى بعضها البعض، والصرف الذي يتناول مبادىء صياغة الكلمات، والنحو الذي يتناول العلاقات بين الكلمات والأبنية الأكبر من الكلمات في اللغة. لنأخذ بعض الأمثلة على هذا. في الإنكليزية يُنطق الصوت (p) حين يكون في بداية الكلمة، دائماً مع هائية (نفخة من النفس)، في حين لا تصاحب ذلك الصوت «هائية» حين يسبقه الصوت (s) ـ كما في [pool < > spool]. إن تعميماً مثل هذا يرد في الفنولوجيا/ حيث تدرج الأصوات التي تؤلف فونيم /p/ (أي فصيلة الأصوات) بالإضافة إلى المواضع التي ترد فيها في الكلمة. ومثلنا على التعميمات الصرفية هو التعميم الصرفي في الإنكليزية الذي يقضي بأن السابقة /-un/ واللاحقة /-able/ وحدتان من وحدات صياغة الكلمات أو «مورفيمات». فمثلاً، تتكوّن الكلمة unbreakable وفقاً للتحليل البنيوي من ثلاثة مورفيمات هي /-un/ و /-break-/ و /-able/. أما نحو الإنكليزية في أي قواعد بنيوية فإنه يحتوي، في حده الأدنى، على معلومات عن الفصيلة النحوية (قسم الكلام) التي تنتمي إليها كل كلمة. فمثلاً سيعيّن هذا النحو الفصيلة النحوية «فعل مساعد aux» لكل من 'can' 'may' و 'will'؛ وهذه فصيلة تفترق عن الفصيلة «فعل» التي تحتوي على الكلمات 'eat'، 'know'، 'run'... إلخ، وذلك لأن الفصيلة الأولى، بخلاف الفصيلة الثانية، لا يدخل آخرها نهايات تصريفية. غير أن أطر البحث «المناهج» البنيوية المختلفة تختلف في ما بينها حول مسألة كم من النحو يمكن أن يندرج تحت اللسان. فكل تلك المناهج تقريباً متفقة على أن نسبة الكلمات إلى فصائل نحوية جزء من اللسان. إلا أن عدداً أقل من تلك المناهج حاول معالجة تجميع تتابع الكلمات في عبارات أكبر (مثلاً، معالجة الشيء الذي يحدد أن الخط الذي يقسّم الجملة The old man came to town يقع بين 'man' و 'came' وليس بين 'old' و 'man'[*]. والقلة النادرة من البنيويين حاولوا تقديم معالجة بنيوية لنقاط التشابه والاختلاف بين الجمل (مثلاً، الوصف الدقيق للاختلاف في البنية بين جملة مبنية للمعلوم مثل «جون رمى الكرة John threw the ball»، ومقابلتها المبنيّة للمجهول «رميت الكرة من قبل جون The ball was thrown by John»). فقد كان من رأي غالبية البنيويين (واستمر هذا حتى وقت قصير) أن النوعين الأخيرين من الظواهر

---

(1) يراجع القارىء لبيانات تمثّل المدارس البنيوية البارزة حول استقلال اللسان: E. Sapir: **Selected Writings of Edward Sapir in Language, Culture, and Personality,** ed. D. Mandle baum, (Berkeley: University of California Press, 1944), p. 100; R.H. Robins: «General Linguistics in Great Britain 1930-1960», in **Trends in Modern Linguistics,** ed. C. Mohrmann et al. (Utrecht: Spectrum, 1963), p. 21; B. Trank: «Linguistics and the Ideological Structure of the Period», in **The Linguistic School of Prague,** ed. J. Vachek, (Bloomington: Indiana University Press, 1966), p. 158; A. Martinet, Interview in **Discussing Language,** ed. H. Parret, (The Hague: Mouton, 1974), p. 244; H. Spang-Hanssen: «Glossematics», in **Trends in European and American Linguistics 1930-1960,** ed. C. Mohrmann et al., (Utrecht: Spectrum, 1961), p. 130.

(*) في الجملة العربية المقابلة «الرجل الكبير قدم إلى البلدة»، يقع الخط بين «الكبير» و «قدم» وليس بين «الرجل» و «الكبير»؛ والسؤال هو عن الذي يقرر وضع الخط هنا وليس في مكان آخر. (م).

النحوية فيهما من التفرد وعدم الانتظام ما يجعلهما غير ملائمين للمعالجة البنيوية ضمن اللسان.

يتخذ الوصف البنيوي للغات شكل قائمة للفونيمات والمورفيمات والفصائل النحوية للغة الموضوعة على بساط التحليل؛ بالإضافة إلى إيراد المواضع التي توجد فيها هذه العناصر. وقد أوضحت «المحاضرات» الغاية من هذا التصنيف بشكل جليّ:

> سيكون من المهم، من وجهة نظر علمية، الابتداء بالوحدات، وأن نقدر ما هي، وأن نفسّر تنوعها عن طريق تصنيفها... والخطوة التالية هي أن نصنف الوحدات الفرعية، ثم الوحدات الأكبر، وهكذا... وبتحديد العناصر المستخدمة على هذا النحو، فإن اللسانيات التزامنية تنجز واجبها بالكامل، إذ إنها سترجع كل الظواهر التزامنية إلى مبدئها الأساسي[2].

ولقد استحوذت فكرة احتواء اللغة على جزء مركزي متميّز ومستقل عن سواه من الأجزاء، قسم يتألف من وحدات متميّزة ترتبط ببعضها البعض بعلاقة نظامية، استحوذت هذه الفكرة على خيال لسانيي العالم. وفي حين كانت التوصيفات التزامنية القديمة ثرية إلى حد كبير في ملاحظاتها حول العمليات القواعدية المختلفة التي تعمل في اللغة موضوع البحث، فإنها لم تقارب اللغة كلها كنظام متماسك. أما اللسانيات البنيوية فقد وهبت الحقل برنامج بحث غني يهدف إلى تقديم وصف دقيق لطبيعة مثل هذه النظم.

في أواخر الثلاثينات من هذا القرن نرى اللسانيات البنيوية مزدهرة في مختلف المراكز الأكاديمية الغربية، وعلى وجه الخصوص في براغ، كوبنهاغن، باريس، جنيف، لندن، شيكاغو، ونيوهافن. وكان أكثرها نشاطاً ونجاحاً في براغ حيث طوّرت الفنولوجيا البنيوية إلى درجة عالية من الضبط والدقة والتعقيد. ويمكن القول إن مدرسة براغ سبقت سواها. فلقد كان أحد باحثيها الكبار وهو رومان ياكوبسون قد لعب دوراً مهماً في الحركة الشكلانية الروسية قبل الثورة. وقد ساعدت الشكلانية الروسية التي كانت تقول بمعاملة الأعمال الفنية والأدبية بشكل مستقل عن سياقها الاجتماعي، ساعدت في أن تقود ياكوبسون إلى وجهة النظر القاضية بأن اللغة يمكن أن تدرس كشيء بنيوي ذي تحليل مستقل.

وبحلول الأربعينات اتضح مغزى التطورات التي شهدتها اللسانيات البنيوية حتى خارج الحقل نفسه. فقد احتج كثيرون بأنه إن كان فرع من فروع العلوم الإنسانية قادراً على كشف وحدات أساسية ثابتة وغير متنوعة، فإنه لا سبب يمنع أن تكون الفروع الأخرى كذلك. إذ لربما كان كل مجال من التجربة الإنسانية منظماً وفق خطة مشابهة في نسقها ومنطقها. وهكذا فإن الباحثين في عدد من الحقول العلمية بدأوا بالبحث عن مكافئات للسان Langue والكلام Parole ضمن حقولهم.

في أميركا كان علم الأنثروبولوجيا هو أول حقل تأثر باللسانيات البنيوية. فقد أشعل سؤال كروبر «ما هو المقابل الحضاري للفونيم؟» شرارة بحث أنثروبولوجي ليستمر عقداً من الزمن كُرِّس كله لوضع مناهج، ووحدات تحليل قياساً إلى ما فعلته اللسانيات البنيوية[3]. وفي نهاية الخمسينات كتب كلايد كلكهون أن «الأوجه المميزة لوجهة النظر الأنثروبولوجية مستمدة أساساً

(2) F. de Saussure: **Course in General Linguistics,** (New York: McGraw-Hill, 1966), p. 111.

(3) A.L. Kroeber: «Culture», in **Peapers of the Peabody Museum in American Archaeology and Ethnology,** ed. A.L. Kroeber and C.H. Kluckhohn, (Cambridge: Harvard Univ Press, 1952), p. 124.

من حقيقة أنه من بين العلماء السلوكيين، كان علماء الأنثروبولجيا الحضارية هم الوحيدون الذين واكبوا التطورات الاستثنائية في اللسانيات البنيوية خلال الجيل الأخير»[4]. وسرعان ما انتشر تأثير اللسانيات البنيوية إلى مجالات أخرى من مجالات البحث العلمي المختلفة؛ تمتد من علم النفس الاجتماعي إلى تحليل اللغة المستعملة في مقالات الدعاية السياسية، إلى النقد الأدبي[5].

وقد كان للمفاهيم الأساسية اللسانيات البنيوية تأثيرات وعواقب أكبر على البحث في أوروبا وخصوصاً في فرنسا. فخلال الحرب العالمية الثانية وجد رومان ياكوبسون وكلود ليفي شتراوس نفسيهما في المنفى في نيويورك، حيث عمل الأول في التدريس في «جامعة المنفى» الفرنسية «المدرسة الحرة للدراسات العليا»، وعمل الثاني في المدرسة الحديثة للبحث الاجتماعي. وقد قادت مناقشاتهما ليفي شتراوس إلى صياغة أفكار الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهي مقاربة لتحليل الحضارة لم ينس ليفي شتراوس نسبتها إلى ياكوبسون وسوسير. وفي الحقيقة فإن ليفي شتراوس شبّه اكتشاف اللسانيين للفونيمات والمورفيمات المنسقة بنيوياً بالثورة النيوتينية في الفيزياء[6]. وحين نصل إلى الستينات نجد أن عمل ليفي شتراوس قد أطلق حركة فكرية رئيسة في فرنسا، ممثلة بشخصيات مثل رونالد بارت في الأدب، ومايكل فوكو في التاريخ، وجاك لاكان في التحليل النفسي ولويس ألتوسير في الماركسية.

ومن الطريف أن نجد أن التوجهات الفكرية التي ولدتها اللسانيات البنيوية حققت نجاحاً أكبر في أوروبا ما بعد الحرب مما حققته اللسانيات البنيوية نفسها. فبالرغم من جذورها العميقة هناك، فقدت اللسانيات البنيوية زخمها في القارة الأوروبية في الأربعينات والخمسينات. إذ لم يكن البنيويون خارج جيكوسلوفاكيا، بقادرين عموماً على تطوير الاستقلال التنظيمي داخل الوسط الأكاديمي أو الشعور بهدف مهني مشترك، وهو ما كان ضرورياً لنجاحهم كحركة. وبالإضافة إلى ذلك فقد انهدّ بسرعة ما كانت مدرسة براغ قد بنته في جيكوسلوفاكيا بسبب الحرب التي دفعت بالكثير من زعماء هذه المدرسة أمثال ياكوبسون إلى المنافي، ثم جاء النظام الحاكم بعد الحرب ليتمّ ذلك بإنهاء نشاط تلك المدرسة رسمياً.

وقد كانت المعارضة السياسية للسانيات البنيوية قوية لدرجة أنها منعتها من الحصول على موطىء قدم في الأماكن الأخرى كذلك. فقد أدانت ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية البنيوية رسمياً كأمر متناقض مع إيديولوجيا الدولة. فخلال الفترة النازية امتلأت صفحات الدوريات اللسانية الألمانية بأوصاف زاهية حيّة لكيفية تجلّي الروح الألمانية في لغة شعبها الراقية. وعلى غرار ذلك، ففي إيطاليا في هذه الفترة نجد توصيفات كثيرة للغة تحتوي على خليط غريب من الجمالية وعبادة الأمة، ونجد الباحثين يسعون في الوقت عينه إلى توحيد سمات لغة معيّنة بالصفات الروحية المفترضة لمتحدثيها وأن يثبتوا تفوق الإيطالية كواسطة للتعبير الإبداعي. وكان من الطبيعي أن تتفق رعاية الدولة لمثل هذه المقاربة للقضايا اللسانية مع عدم القبول الرسمي للسانيات البنيوية.

---

(4) C. Kluckhohn: «Comman Humanity and Diverse Cultures», in **The Human Meaning of the Social Sciences,** (New York: Meridian Books, 1959), p. 262.

(5) انظر: K. Pike: **Language in Relation to a Unified Theory of the Structure of Human Behavior,** (Glendale, Calif.: Summer Institute of Linguistics, 1954). H. Lasswell et al: **Language of Politics:** Studies in Guantitative Semantics, (New York: George W. Stewart, 1949); H. Whitehall: «From Linguistics to Criticism», **Kenyon Review** 13 (1951), pp 710-14.

(6) C. Lévi-Strauss: «Remarks», in **An Appraisal of Anthropology Today,** ed., S. Tax et al., (Chicago: University of Chicago Press, 1953), pp. 350-51.

وبالفعل، فإنه لم تجر أي دراسة لسانية بنيوية في ألمانيا وإيطاليا في هذه الفترة. فالبنيوية بتحليلها الخالي من الأحكام القيمية للغات المتعددة وباهتمامها المتساوي بكل واحدة منها بغض النظر عن جنس متحدثيها أو مستواهم الحضاري، كانت تمثّل أطروحة مناقضة للإيديولوجيا الرسمية في هذين البلدين.

وفي الوقت عينه الذي كانت فيه اللسانيات البنيوية تدان في ألمانيا وإيطاليا بسبب نظرتها المتساوية إلى جميع اللغات، حُكم بعدم شرعيتها في الاتحاد السوفياتي قبل 1950 لأنها نتاج للإيديولوجية البورجوازية. وقد علل الرأي الرسمي في ذلك البلد الأمر على الوجه التالي: لما كانت العلاقات البنيوية المجردة هي التي تقع في قلب نظام اللسانيات البنيوية، وليست العلاقات الطبقية المادية، فإن هذه اللسانيات البنيوية رجعية في محتواها بالضرورة. وفي وقت أقرب من ذلك نجد مؤيدي بعض الاتجاهات الفكرية التي كان لها وما زال شعبية واسعة في أوروبا، مثل الماركسية والظاهراتية يقومون بشنّ حملات واسعة، وناجحة في معظم الأحيان، ضد النظرة البنيوية للغة. وحتى في فرنسا، وفي الفترة عينها التي كانت فيها البنيوية كحركة فكرية في قمتها، لم تكن اللسانيات البنيوية بأكبر تأثير مما كانت عليه قبل ثلاثين سنة من ذلك. إذ إنها ـ أي اللسانيات البنيوية ـ ظلت قوة ليست بذات أهمية خارج السوربون، حيث طور أندريه مارتينه برنامجاً بنيوياً مهماً، وخارج عدد محدود من المعاهد الأخرى. وقد تحدّث آدم شاف، الماركسي البولندي المعروف بأبحاثه في علم الدلالة عن «عدد تنوّعات البنيوية المنتشرة في فرنسا، في حين لا نجد للسانيات البنيوية الحقيقية سوى أضعف التأثيرات في أدبيات الموضوع، ولربما كانت أقل هذه التنوّعات والأشكال شهرة»(7).

وهكذا فإن اللسانيات البنيوية لم تحصل على النفوذ المنشود إلا في بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها. ومع إنه لم يكن هناك حتى في الخمسينات سوى عدد ضئيل من أقسام اللسانيات المستقلة، غير أن وجود هذه الأقسام ونفوذها كانا قويين لدرجة أنه سمح لذوي التوجه المستقل نحو اللغة أن يفيدوا من التوسع في الجامعات في عقد الستينات. فقد سيطر العاملون في اللسانيات المستقلة على معظم الأقسام التي أنشئت حينئذٍ منذ البداية.

ويُعزى نجاح البنيويين في الولايات المتحدة الأميركية إلى ثلاثة عوامل(8). كان العامل الأول رفع البنيويين لواء قضية واضحة للعيان ميّزتهم عن معظم الباحثين اللسانيين وضمتهم تحت جناحها. والعامل الثاني هو أنه في الوقت والمكان الذي كان مركز العلم في أوجه، استطاع هؤلاء البنيويون إظهار أنفسهم بأنهم هم وحدهم الذين يمتلكون توجهاً «علمياً» للغة. والعامل الثالث هو أنهم استطاعوا الفوز بدعم مصالح ذات نفوذ وثراء ساعدت على استمرارهم مالياً وتنظيمياً.

لا نجد إسماً نطلقه على القضية التي تحشّد وراءها اللسانيون البنيويون الأميركيون، أفضل من الإسم «التساوي» غير الدقيق. وجوهر هذا المبدأ هو أن كل لغات العالم، في جانب أساسي منها، مصاغة من قالب واحد. وهذا يعني، وفقاً للبنيويين، أن كل اللغات واللهجات يمكن أن يجري تحليلها بالطرق عينها وأنه ليس هناك لغة تستعصي على الوصف بكفاءة وفقاً لنظام بنيوي مستقل. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه في حين لا ينكر مبدأ «التساوي» أن طبيعة النظام اللغوي قد

---

(7) A. Schaff: **Structuralism and Marxism,** (Oxford: Pergamon Press, 1978), p. 24.

(8) لمزيد من المناقشة المفصلة لتطور اللسانيات البنيوية الأميركية انظر:
D. Hymes and J. Fought: **American Structuralism,** (The Hague: Mouton, 1981).

تختلف إلى حد كبير من لغة إلى أخرى، فإنه يرفض فكرة أن تعقيد النظام مرتبطة بأي شكل من الأشكال بمستوى التقدم الحضاري للمتكلمين، بل إنّ اللسانيين البنيويين عموماً، رفضوا فكرة إمكانية مقارنة نظم القواعد بعضها ببعض وجدواها وفقاً للتعقيد النسبي.

وقد كان فرانز بواز أول دعاة مبدأ «التساوي» الأشداء في اللسانيات، وقد نشر القسم الأول من عمله الذي عرف به **دليل اللغات الأميركية الهندية A Handbook of American Indian Languages** في عام 1911. ويمكن لغالبية الأنثروبولوجيين بالإضافة إلى اللسانيين الأميركيين أن ينتسبوا في تكوينهم الفكري إلى بواز. فقد هاجم بضراوة المزاعم القائلة بأن أصوات اللغات غير الغربية غامضة ومتغيّرة، ولهذا فهي تستعصي على التدوين كتابةً، وأن البنية القواعدية لتلك اللغات عاجزة عن التعبير عن المفاهيم المجردة. لقد فضح بواز الطبيعة الإيديولوجية المكشوفة لهذه الأفكار وأثبت بالكثير من الجهد أن التعقيد القواعدي في اللغات غير الغربية ذو درجة عالية مثله مثل ذلك الذي نراه في قواعد اللغات الغربية. وهكذا أصبحت المناداة والدعاية لمبدأ التساوي اللساني لكل اللغات واللهجات سمة مميزة للكتابة اللسانية في الولايات المتحدة الأميركية سواء منها الكتابة الجماهيرية أو العلمية. وقد عبّر إدوارد سابير، وهو تلميذ بواز، عن هذه المشاعر في كتابه الشهير **اللغة**، فقال: «حين يؤول الأمر إلى الشكل اللغوي، فإن أفلاطون وراعي الخنازير المقدوني صنوان، وكذلك كونفوشيوس ومتوحش آسامي من صائدي رؤوس البشر»[9]. وحتى هذا اليوم، فإن كتب المقدمات المنهجية تسجل هذه النقطة كأول ثوابتها. وهكذا فإن كتاب «مقدمة في اللغة» لمؤلفيه فرومكين ورودمان، يبلِّغ الطالب المبتدىء أنه:

> بالرغم من أن قوانين قواعد لغتك قد تختلف عن قوانين قواعد شخص آخر، إلا أنه لا خطأ أو خطل في قواعدك. وهذا يعود إلى أنه بالنسبة للسانيين ليست هناك لغة أو شكل من أشكال اللغة (يطلق عليه لهجة) أفضل من لغة أخرى من ناحية لسانية. وكل القواعد متساوية في تعقيدها ومنطقيتها وقدرتها على إنتاج مجموعة غير متناهية من الجمل للتعبير عن أية فكرة يرغب في أن يعبِّر عنها الإنسان. وإذا كان بالمستطاع التعبير عن شيء في لغة أو لهجة من اللغات أو اللهجات، فبالإمكان التعبير عنه في أية لغة أو لهجة أخرى. وقد تستخدم كلمات ووسائل مختلفة في هذا، ولكن إمكانية التعبير عنه موجودة. ولأن نظم القواعد هي ما يحدد طبيعة اللغات فإنه لا يمكن تفضيل قواعد على أخرى إلى الأغراض غير لسانية[10].

ومنذ البداية تلقف البنيويون الأميركيون فكرة التساوي بين اللغات كقضية يبلورون حولها هُويّتهم المهنية. وعلى حد قول ليونارد بلوفيلد الذي طور مع ادوارد سابير اللسانيات البنيوية الأميركية، فإن هذه الفكرة مسؤولة لحدٍ ما عن القرار الذي اتخذ في 1924 لتأسيس جمعية اللسانيات في أميركا. فقد أمل بلوفيلد أن تعمل مثل هذه الجمعية ضد مقاومة الفكرة القائلة بأن لغات الناس ذوي الحضارة العالية صنو للغات «المتوحشين»، «وهي فكرة كان يجدها العامة من الناس منافية للشعور العام»[11].

غير أن مبدأ التساوي بين اللغات الذي شكّل قضية مركزية بالنسبة للسانيات الأميركية لم

(9) E. Sapir: **Language,** (New York: Harcourt, Brace, and World, 1921), p. 219.

(10) V. Fromkin and R. Rodman: **An Introduction to Language,** 3rd ed., (New York: Holt, Rinehart and Vinston, 1983), p. 12.

(11) L. Bloomfield: «Why a Linguistic Society?» **Language,** 1, (1925), p. 2.

يلعب دوراً مهماً في تطور اللسانيات البنيوية في أوروبا[*]. ففي حين قبل الأوروبيون عموماً بهذا المبدأ لم يجعلوا من قضية تميّزهم عن سواهم مهنياً. وفي واقع الأمر، فإن عدداً من اللسانيين الأوروبيين كانوا ناشطين في معارضتها. ففي عام 1948، كتب اللساني المقارن الهولندي غوندا أن المنهج المقارن غير ممكن التطبيق على اللغات «البدائية» مثل تلك التي نجدها في العائلة اللغوية الأندونوسية، وهي وجهة نظر سرعان ما هوجم بعنف من قبل البنيوي الأميركي جورج تراغر «كرأي يعكس اليأس إن لم يكن تعصباً عرقياً محضاً»[12]. وحتى في وقت متأخر مثل عام 1944 لاحظ اللساني البنيوي السويدي برتيل مالبرغ أنه يجب تطبيق المبادىء البنيوية بأشكال مختلفة على اللغات الأدبية وغير الأدبية[13].

لم تجلب حملات اللسانيين البنيويين الأميركيين حين قصروها على لغات القبائل البعيدة غضب زملائهم في أقسام اللغات الحديثة والكلاسيكية - وهي الأقسام التي كان يعمل معظم اللسانيين فيها في سني ما بين الحربين. ولكن هذه الهدنة انتهت حين بدأوا دعواتهم للمساواة اللسانية بين كل لهجات الإنكليزية واللغات الأدبية الأخرى، بغض النظر عما يرى فيها من تدنٍ عن اللهجة القياسية. فقد جاء مبدأ التساوي بين اللغات هذا على نقيض مباشر مع التراث العميق الجذور في الإنسانيات والذي يتناسب تقويمه للأنواع اللغوية مع نتاجها الأدبي. وقد علّق عدد من اللسانيين من الذين ينتمون إلى هذه الفترة على المصاعب التي مرّوا بها في أقسام الأدب. فعلى ما يقول إدغار ستروتڤانت، نمت المعاهد الصيفية السنوية التي كانت تقيمها جمعية اللسانيات في أميركا في حجمها لأن الغالبية العظمى من اللسانيين وجدوا أنفسهم في أقسام يدرّس فيها أناس «لم يكن لديهم فهم أو تعاطف مع اللسانيين وممن كان على اللسانيين التغاضي عما يقولونه لكي يحتفظوا بمناصبهم»[14]. ويلاحظ لساني آخر يمتد نشاطه في هذا الحقل منذ الثلاثينات «أن بالرغم من أن عدداً من أقسام اللغة والأدب رحب باللسانيين، فإن الغالبية منه كان لها موقف عدائي عنيد»[15]. ولقد كان الجو العام السائد معادياً لدرجة أن زيليغ هاريس - أبرز اللسانيين الأميركيين بعد ساپير وبلومفيلد، لم يستطيع أن يدرِّس اللسانيات في القسم الذي كان يعمل فيه وهو قسم اللغات الشرقية في جامعة بنسلفانيا، بل درّسها في قسم الأنثروبولوجيا تحت ستار «تحليل اللغات غير المكتوبة»[16].

وقد لاقت محاولة تقديم اللسانيين لمبدأ التساوي بين اللغات إلى الرأي العام مقاومة شبيهة بسابقتها. فكنتيجة لرفضهم المستند إلى هذا المبدأ الحط من شأن اللهجات غير القياسية في الإنكليزية، وعلى ذلك معارضتهم للقواعد المعيارية المفروضة، نُظر إلى اللسانيين البنيويين وكأنهم

(*) ولو أنه كان القوة الدافعة وراء الأنواع الأخرى من البنيوية الأوروبية (مثلاً، تحدي ليفي شتراوس للعرقية في الأنثروبولوجيا).

(12) J. Gonda: «The Comparative Method as Applied to Indonesian Languages», **Lingua,** 1, (1948), pp. 86-101; G. Trager: review of Lingua, vol. 1, **IJAL,** 14, (1948), p. 209.

(13) B. Malbery: **New Trends in Linguistics: An Orientation,** (Lund: Institute of Phonetics, University of Lund, 1964), pp. 183-84.

(14) E. Sturtevant: «Report of the Special Committee of the Linguistic Institute», **Bulletin of the Linguistic Society of America,** 13, (1940), p. 83.

(15) S. Newman: review of B. Davis and R. O'Cain, **First Person Singular, in Historiographia Linguistica,** 9, (1982), p. 139.

(16) D. Hymes and J. Fought: **American Structuralism,** p. 46.

يتآمرون على اللغة وعلى المقاييس الحضارية وعلى القيم عموماً. واستمر هذا الوضع حتى وقت متأخر. ففي عام 1950 أُجبر اللساني الأميركي روبرت هول على نشر كتاب كتبه يدافع فيه عن القيمة اللغوية لكل اللهجات القياسية وغير القياسية على حد سواء، على نفقته الخاصة. إذ لم يكن هناك ناشر يود أن يرتبط إسمه بموقف كهذا. وقد وافقت دار دبلدَمي للنشر على نشره بعد عشر سنين وبعد أن ثبت المبيع الواسع للكتاب، وبعد أن غيّر هول العنوان المثير **إترك لغتك وشأنها.** إلى العنوان الأكثر حيادية **اللسانيات ولغتك.** وفي عام 1964، قدمت جمعية اللسانيات في أميركا تقريراً إلى «اللجنة الوطنية للإنسانيات» تقول فيه إن التطورات الأخيرة كان تأثيرها «صفراً» على الجمهور، وإن «نسبة لا بأس بها» من المثقفين يرون في اللسانيات «العدو الأكبر لكل ما يعتزون به»[17]. ولقد جاءت الاتهامات من كل جانب؛ فالمؤرخ جاك بارزون مثلاً، يرمي اللسانيات الحديثة «بأنها تتحمل المسؤولية الخطيرة لحال اللغة كما نراها في المراكز الحضارية»[18]. وقد شدّدت تقارير حديثة توثق الأداء العلمي الأكاديمي المتدني لطلاب المدارس في أميركا، شدّدت من هذا العداء أكثر فأكثر. ويشير محررو المقالات في الجرائد والمجلات بأصابع الاتهام إلى اللسانيين الذين ينظر إلى «إباحيتهم المفرطة» كعامل رئيس يسهم في هذا الانحدار.

وفي الواقع، فاللسانيون البنيويون هم السبب في إلصاق هذه التهمة بهم. فلقد قادهم التزامهم بمبدأ التساوي بين اللغات إلى إبعاد أنفسهم عن القواعد المعيارية الفرضية - أي فكرة أن صيغ الكلام «الصحيحة» يجب أن توصف وتفرض على المستخدمين. وفي حين لم يعارض نظراؤهم الأوروبيون هذه الفكرة، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير بوضع أنفسهم في خدمة اللجان المشكّلة في البلدان الأوروبية «لتنظيم» اللغة الوطنية، رفض اللسانيون الأميركيون، دوماً فكرة أن يكون من مهامهم العمل كنحويين معياريين (يضعون الصيغ الصحيحة ويساعدون على فرض استخدامها (م))، وقاموا فرحين بفضح الأسس الواهية ذات الطبيعة السياسية لهذه الوصفات القواعدية.

وللقواعد المعيارية الفرضية تاريخ ساحر. وكما يرينا اللساني جفري ننبرغ، فإن أصول هذه القواعد في القرن الثامن عشر ترسخت جذورها في الفكر الليبرالي الكلاسيكي.

> وإذن فمنذ نشأتها ارتبطت مبادىء الاستعمال الجيد للغة في العصر الحاضر بالمثل الليبرالية، وذلك في إصرار هذه المبادىء على أن أفضل ما يقرر القيم اللغوية هو خطاب الناس ذوي المعرفة والإدراك السليم بغض النظر عن أنسابهم ومراكزهم. وقد ظل ذلك الارتباط قائماً حتى النصف الأول من هذا القرن حيث ظل أناس مثل أورويل وأودن وليونيل ترينيل يدافعون عن القيم اللغوية التقليدية. ولم يتغير ذلك إلا أخيراً حين أصبحت مبادىء القواعد تعد نظاماً رمزياً متصلباً وإذ ذاك أخذ المحافظون ينادون بها وأصبحوا من أنصارها[19].

ويعزو ننبرغ تحول القواعد المعيارية إلى حصن للقوى المحافظة أمام نمو التعليم الجماهيري، وانهيار النخبة الاجتماعية المتماثلة التي كانت قد هيمنت على الأعراف والثقافة حتى الحرب العالمية الأولى.

---

(17) American Council of Learned Societies, **Report of the Commission on the Humanities,** (1964), pp. 152-58.

(18) J. Barzun: **The House of Intellect,** (New York: Harper and Row, 1959), p. 243.

(19) G. Numberg: «The Decline of Grammar», (Prepublication version of a paper that appeared in **Atlantic**, Dec. 1983), pp. 15-16.

بالنسبة للتلاميذ من الطبقة العاملة، والأقليات العرقية والرسية أخيراً، يعني إتقان 'الإنكليزية الصحيحة'، أكثر من تعلم القوانين التقليدية لتوافق الضمائر وسواها بكثير. إذ عليهم أن يتعلموا إتقان عادات كلام الطبقة الوسطى التي افترضها القواعديون التقليديون دائماً. ولم يكن لهذه العادات تبرير منطقي على عكس القوانين التقليدية... وكان لا بد أن يجد المعلمون أنفسهم يقضون وقتاً أطول في تدريس قوانين استعمال لا نجد لها أساساً في البرنامج المنطقي للقواعد التقليدية بل نجده في التمايزات الطبقية والرسية البغيضة[20].

ولم تكن القضايا لتقتصر على الطبقات والرس. لنتناول المقتطعات التالية من كلام الناقد المسرحي للنحوي الجماهيري جون سايمون الذي يفاخر بجهله باللسانيات[21]، والذي لا تصلح دعوته إلى استخدام 'القواعد الجيدة المعيارية' حتى لستر مواقفه اليمينية. إذ يحذرنا سايمون قائلاً: «لا تدع أنصار حقوق المرأة المتعصبين يقنعونك بأن الجملة يجب أن تكون «كما يشاء هو أو هي as he or she pleases» فهي غير مضبوطة بشكلها هذا. وكذلك فإنها لا تفيد أي غرض غير استرضاء ذلك المتطرف الذي لا يستحق الاسترضاء»[22]. ويقول أيضاً إن «الإنكليزية السوداء هي لغة مخلوقات جاهلة ومضللة أو مجرد مخلوقات كسولة تجد في عمل الفروق والتمايز جهداً لا حاجة به»[23]. ولايمنع دعواه هذه من أن تكون نظرية عنصرية فاضحة إلا كونه لا ينسب بوضوح 'جهل' السود لمواريثهم الجينية.

ولكن إذا كان اللسانيون البنيويون قد أصرّوا على التساوي بين اللهجات غير القياسية، فإنهم لم يترددوا في حثّ الناس على التلاؤم مع القواعد المعيارية الفرضية. ويحس روبرت هول بهذا الفرق فيقول:

> غالباً ما نجد حاجةً إلى تغيير استعمالنا لمجرد أن النجاح الاجتماعي والمالي يعتمد على نموذج معياري محدد. وكلامنا هو أحد الأشياء التي ستستخدم كنموذج معياري. وفي وضع مثل هذا سيكون من المناسب أن يكون هناك تعديل في مواقفنا. ولكن ليكن هذا على أساس من القبول الاجتماعي الفعلي لكلامنا...[24].

إن معنى ملاحظات هول هو أنه مهما كانت اللهجات متساوية نظرياً فإنها ليست كذلك في واقع الحال. لقد رفع معظم البنيويين الأميركيين أصواتهم ـ تماماً كسواهم ـ في الطلب من المتكلمين باللهجات غير القياسية بتقليد اللهجة القياسية السائدة ـ ولكن على أسس مختلفة. ومع ذلك، فلنا أن نتساءل إن لم تكن الرسالة المزدوجة التي أذاعها البنيويون (وهي «لا بأس باللهجات غير القياسية، ولكن...») مسؤولة، جزئياً على الأقل، عن العداء العام لأحد ثوابتهم الأساسية في أن مثل هذه اللهجات مكافئة لسانياً للهجة القياسية.

وبالرغم من الازدراء الذي قاست منه البنيوية الأميركية بسبب دعوتها إلى مبدأ التساوي بين اللغات، فقد كان لهذا الالتزام تأثيره الإيجابي على نموها في المدى البعيد. فلقد استطاعت اللسانيات

---

(20) المصدر عينه، ص 20.

(21) J. Simon: **Paradigms Lost,** (New York: Clarkson Potter, 1980), p. x.

(22) المصدر عينه، ص 41.

(23) المصدر عينه، ص 148.

(24) R. Hall: **Linguistics and Your Language,** (Garden City, N.Y.: Anchor Books, 1960), p. 29.

البنيوية بتمسكها بقضية تبقيها دائماً تحت أنظار الجمهور، استطاعت الإبقاء على حضور ساعد على تجنيد طلاب أذكياء في صفوفها وكذلك على أن تتنافس بنجاح في الحصول على نصيبها من الدعم. وفي الجو الأكاديمي الأميركي حيث غالباً ما يكون مركز الأكاديمي دالة على مدى ذيوع أفكاره نجح البنيويون في جلب الانتباه إلى ناحيتهم.

وكانت السمة المميّزة الثانية التي اتسمت بها اللسانيات البنيوية الأميركية في الأربعينات والخمسينات هي تعريفها لنفسها بأنها التوجه «العلمي» الوحيد لدراسة اللغة. ومن المستحيل علينا أن نقيِّم درجة أهمية هذا الزعم في نجاح هذه المدرسة. ففي هذه الفترة كان التجلبب «بالعلم» يضمن إعجاب الناس ويضمن مركزاً سامياً لمن يقول به. وقد عُدّت اللسانيات البنيوية أقرب العلوم الإنسانية إلى تحقيق نتائج مشابهة لتلك التي نجدها في العلوم الطبيعية. وكما قال أحد النقاد فإن اللسانيات البنيوية الأميركية «يمكن مقارنتها في منهجها بالفيزياء، وميكانيكا الكم والرياضيات المبعثرة discrete وعلم نفس الجشتالت»[25].

ولقد كان فهم ما يعنيه الشيء حين يكون «علمياً» في هذه الفترة مبنياً على أسس تجريبية بشكل كامل. وقد كان كثير من اللسانيين البنيويين البارزين في الولايات المتحدة الأميركية، كسائر زملائهم في حقول الفلسفة، والعلوم الاجتماعية، متلزمين بتضمين نظريتهم افتراضات تجريبية. وكان رائدهم في هذا هو ليونارد بلومفيلد الذي كتب كتاباً كاملاً كرّسه لتوضيح الصلة الوثيقة بين الفلسفة التجريبية وعلم النفس السلوكي واللسانيات البنيوية الأميركية[26]. وفي الأربعينات والخمسينات حاول البنيويون الأميركيون من المؤمنين ببرنامج بلومفيلد أن يعيدوا تشكيل اللسانيات البنيوية وفق أسس تجريبية صارمة. وقد كان هدفهم من ذلك استنباط مجموعة من الإجراءات الميكانيكية يمكن من خلالها استخلاص الفونيمات والمورفيمات (الوحدات الصوتية والصرفية) والفصائل النحوية في اللغة من المعطيات اللغوية الخام بدون الرجوع إلى ما لا يمكن ملاحظته، وبدون أية حاجة إلى حدس من جانب العالم اللساني حول كيفية إجراء بحثه.

وبربط حظوظه بالعلم، ضمن بلومفيلد أنه وأتباعه سيهيمنون على اللسانيات البنيوية في أميركا. وقد وجد أولئك الذين قاوموا المد التجريبي مثل سابير وتلامذته نفوذهم وتأثيرهم يتناقصان في المناقشات الجارية حول النظرية اللسانية والمناهج اللسانية(*). وبحلول الخمسينات، أثبت البلومفيلديون نجاحهم بشكل كبير بحيث إن أولئك الذين كان توجههم نحو دراسة اللغة توجهاً إنسانياً بحتاً في الولايات المتحدة الأميركية، أصبحوا لا يعدون «لسانيين» ـ وهو أمر ما زلنا نجده اليوم.

ولقد أسهمت نظرتهم التجريبية في نجاح البنيويين الأميركيين بطريق آخر غير مباشر. إذ إنها أرتهم عقم إثارة الأسئلة العريضة الأساسية حول طبيعة اللغة (أو العلاقة بين اللغة والظواهر الأخرى)، ولهذا فإنهم ركّزوا، وبتصميم كبير، على تطوير إجراءات للتحليل الفونيمي والمورفيمي. ومن هنا جاء بروز مجموعة من «المختصين» في أميركا كان انتماؤهم المهني الوحيد إلى حقل اللسانيات ومناهجه الفنية الخاصة به.

---

(25) H. Whitehall: «From Linguistics to Ctriticism», p. v.

(26) L. Bloomfield: **Linguistic Aspects of Science,** (Chicago: University of Chicago Press, 1939).

(*) يمكن رؤية جوهر الخلافات الفكرية بين سابير وبلومفيلد بشكل جيد في نعت بلومفيلد لسابير بأنه «ساحر مشعوذ». وكذلك في إشارات سابير إلى دعاوى بلومفيلد غير الناضجة، في علم النفس بالقول إن علم النفس الذي يتحدث عنه بلومفيلد لا يزيد على ما يعرفه طلاب السنة الثانية في الجامعة عن هذا العلم.

وقد بانت العواقب والتأثيرات العملية لهذا الموقف التجريبي الأميركي على أوضح صورها في معالجة «المعنى». فللأوروبيين[27] كان فهم دور اللغة في توصيل المعنى أمراً جوهرياً. ولهذا فإنهم كرّسوا اهتماماً كبيراً للوظيفة الدلالية للوحدات التي تتبيّن لهم في تحليلهم البنيوي. وإذ كان المعنى شغلهم الشاغل فإنهم كانوا دوماً يرتكزون على حقول مثل الفلسفة وعلم النفس أو النقد التي كانت تدرس المعنى أيضاً. ولا يخفى التناقض في أن اهتماماتهم هذه التي امتدت إلى أكثر من حقل علمي قد قللت من التزامهم ببناء اللسانيات كحقل علمي مستقل. ومن الناحية الأخرى، فقد حاول بعض اللسانيين البنيويين الأميركيين إقصاء دراسة المعنى كلها عن حقل اللسانيات؛ إذ لم يعجبهم حتى تناول مفهوم كالمعنى اشتهر بصعوبة تحديده وإخضاعه للإجراءات العلمية. غير أن هذا الضيق في نظرتهم هو نفسه الذي ساعدهم على خلق حقل متميّز له حدوده الواضحة.

وبدا الدرس اللساني الأوروبي لأولئك المنظّرين البنيويين الأميركيين الذين كانوا يساندون بقوة التوجه التجريبي، بدا أشبه بالتصوف منه بالعلم. ويعبّر عن هذا روبرت هول تعبيراً تجد فيه قوة المشاعر التي كانت تتصف بها جماعته قائلاً:

> إن الجو الفكري الأوروبي اليوم يخضع لتأثير عداء رجعي أساساً للعلم الموضوعي، وردّة إلى مبادىء «النشاط الروحي» و«إبداع الروح الإنسانية» وكذلك الأحكام القيمية ذات الانحياز الاجتماعي التي ورثها الدرس الأوروبي من الخلفية الأرسطية اللاهوتية لفكر عصر النهضة والقرون الوسطى. ونجد هذا الاتجاه الرجعي في تنظير الكثير من دارسي اللغة الأوروبيين المعاصرين الذين يضحون بالتحليل الوضعي للمعطيات المادية في سبيل مناقشة أوهام خيالية لا يمكن إثباتها مثل «الفكر» و «الروح» كما تنعكس في اللغة. أما في الدرس الأميركي للغة، فإن السؤال الملحّ هو الآن إن كان علينا أن نسمح لهذا الاتجاه غير العلمي أن يوقف التطور الأبعد في اللسانيات وإسهامها في فهمنا للشؤون الإنسانية وبخاصة في تدريسنا[28].

وفي مقابل ذلك، قام ليوسبتزر، وهو أحد المهاجرين الأوروبيين الذين كانوا يدرّسون في الولايات المتحدة الأميركية، قام باتهام هول بأنه يرغب في إنشاء «وكالة تحقيق فيدرالية» على النطاق الأكاديمي لكي تخنق وجهات النظر التي لا تتماثل مع وجهات النظر الشائعة حينها في أميركا[29].

ومن المؤكد أن جانباً كبيراً من العداء الأميركي للسانيات الأوروبية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية وخلالها، كان مبنياً على اختلافات حقيقية حول طبيعة البحث اللساني. ولكن في الوقت عينه لا يمكن نكران أن شعور الأميركيين كانت تلهبه أحقاد شخصية. فقد شعر الكثير من الأميركيين أن مراكز العمل التي كانوا مؤهلين لها كانت تعطى بدلاً من ذلك إلى اللاجئين الأوروبيين. وكان من السهل طبعاً فهم غضبهم ذلك في فترة أزمة اقتصادية حين كانت الوظائف نادرة. ويتذكر روبرت هول أنه كثيراً ما سمع منظّرين أميركيين بارزين يفاخرون، في ردهم على

---

(27) R. Jacobson: «The Twentieth Century in European and American Linguistics: Movements and Continuity», in **The European Background of American Linguistics**, ed., H. Hoenigswald, (Dordrecht: Foris, 1979), p. 170.

(28) R. Hall: «The State of Linguistics: Crisis or Reaction?» **Italica**, 23, (1946), pp. 33-84.

(29) L. Spitzer: «The State of Linguistics: Crisis or Reaction?», **Modern Language Notes**, 71, (1946), P. 499.

ذلك، «بأننا سنُري أولئك الأوروبيين أن لدينا شيئاً لم يحلموا به قط»[30].

ولكن بحلول نهاية الأربعينات، وكنتيجة للاتصال العلمي المتزايد عبر الأطلسي بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت علامات على التصالح في كلا الجانبين. إذ نرى في عام 1951 عرضاً كتبه اللساني الأميركي جارلس هوكت يمتلىء بالثناء على كتاب للبنيوي الفرنسي البارز أندريه مارتينه، ونرى مقابل ذلك ما كتبه مارتينه عن أن الاختلافات في المصطلحات فقط كانت هي العائق الرئيس في فهم الأميركيين والأوروبيين لأعمال بعضهم البعض[31].

أما السبب الثالث، وربما الأهم، في نجاح اللسانيات البنيوية في الولايات المتحدة الأميركية فهو أن الحكومة الأميركية قد وجدت منذ وقت مبكر أن من مصلحتها المباشرة أو غير المباشرة أن تدعم وترعى البحث البنيوي. وقد كانت العلاقة الخاصة بين الحكومة وهذا الوسط المهني والتي بدأت عشية الحرب العالمية الثانية حيوية بالنسبة للسانيات البنيوية إلى درجة أنه قيل «إن البنيوية الأميركية قد تشكّلت في فترة ما بعد الحرب بواسطة خبرات البحث الميداني الذي وُجِّه، ليس نحو الأنثروبولوجيا بل نحو مشاركة الولايات المتحدة الأميركية في الشؤون العالمية»[32].

بدأت هذه العلاقة عام 1939 كنتيجة للأفكار التي اقترحها سورتيمر غريفز الذي كان حينها السكرتير التنفيذي للمجلس الأميركي للجمعيات العلمية (ACLS) وهذا كان أحد المنظمات الأميركية الرئيسية في توفير المنح للأكاديميين. كان غريفز معجباً إعجاباً عميقاً بما أنجزه اللسانيون البنيويون في تحليل اللغات الأميركية الهندية غير المكتوبة. واستنتج أنهم سيلاقون النجاح عينه في تحليل اللغات التي يحتمل أنها ستكون ذات أهمية استراتيجية في الصراع العالمي الذي اعتبره أمراً لا مفر منه[33]. وبالإضافة إلى ذلك فإن البنيويين أنفسهم اقتنعوا، ونجحوا في إقناع الآخرين، أن طرق تحليلهم يمكن تطبيقها مباشرة في إعداد كتب تعليم اللغة والقواعد التي ستصبح القوات الأميركية بحاجة إليها. وبالفعل فإنهم تباهوا بأن أحد أكبر ميزات المقاربة البنيوية للغة، في مقابل المقاربات الأخرى، أنها كانت قابلة للاستخدام في التطبيقات التعليمية. وكانت «الطريقة اللسانية لتعليم اللغات» كما أسموها، تتكون في جانبها الأكبر من تمارين التكرار مباشرة في الأنماط البنيوية الناتجة عن تحليلاتهم.

وقد أصبحت وجهة النظر القائلة بأن لسانيي أميركا البنيويين قادرون على «حل» مشكلة كيفية تدريس اللغات أمراً مقبولاً على نطاق واسع، ونتيجة لهذا فإن الحكومة اتجهت إليهم في وقت حاجتها بدلاً من اللسانيين ذوي الاتجاهات الأخرى[34].

في عام 1441، وبمنحة من مؤسسة روكفلر بمبلغ (100,000) دولار، نظّم المجلس الأميركي للجمعيات العلمية برنامج اللغة المكثف (ILP)، وعيّن جي ملتون كوان الذي كان وقتها أمين

---

(30) R. Hall: «Some Recent Developments in American Linguistics», Neuophilologische Mitteilungen 70, (1969), p. 15.

(31) C. Hockett: review of A. Martinet, **Phonology as Functional Phonetics,** in **Language,** 27, (1951) pp. 333-42; A. Martinet: «Structural Linguistics», in **Anthropology Today: An Encyclopedic Inventory,** ed., A.L. Kroeber, (Chicago: University of Chicago Press, 1953), pp. 574-86.

(32) D. Hymes and J. Fought: **American Structuralism,** p. 119.

(33) J.M. Cowan: «Linguistics at War», in **The Uses of Anthropology,** ed., W. Goldsehmidt (special publication of the American Anthropological Association, no. 11, Washington, D.C., 1979), p. 159.

(34) D. Hymes and J. Fought: American Structuralism, p. 16.

الصندوق في جمعية اللسانيات في أميركا مديراً للبرنامج. وبحلول صيف 1943 كان برنامج اللغة المكثف قد طرح 56 كورساً في ست وعشرين لغة - في ثماني عشرة جامعة - وسجّل في هذه الكورسات حوالى سبعمئة طالب. وحين ألغي هذا البرنامج في نهاية الحرب قدِّر أن كل لساني ذي خبرة في الولايات المتحدة الأميركية كان قد عمل فيه(*).

وقد كانت مهارة غريفز التنظيمية في توفير فرص التمويل والاستخدام والبحث اللساني في الولايات المتحدة الأميركية عاملاً رئيساً في تطوير هذا الحقل. واعتبرت مسؤولية ذلك النشاط في نجاح اللسانيات البنيوية الأميركية معادلة لأعمال بواز وسابير وبلومفيلد و ورف[35].

وبعد دخول أميركا الحرب مباشرة - اتجه الجيش، من خلال المجلس الأميركي للجمعيات العلمية، اتجه نحو جمعية اللسانيات في أميركا طلباً لبعض الخدمات[36]. ومنذ عام 1932 لاحظت الصحيفة **هسبانيا** «أن مدير [برنامج اللغة المكثف (ILP) ملتون كوان] يطلب منه دوماً تقديم مشورات حول مشاكل اللغة من قبل كل دائرة من دوائر الحكومة لها مثل هذه المشاكل: كدائرة الخدمات الاستراتيجية، مكتب الرفاه الاقتصادي، وزارة العدل، بالإضافة إلى مديريات الجيش والبحرية ومشاة البحرية العديدة»[37].

كان أكثر النتاجات ظهوراً للعمل المشترك الذي قامت به الحكومة والمجلس الأميركي للجمعيات العلمية وجمعية اللسانيات في أميركا خلال الحرب هو المواد «المفيدة» - من كتيبات تعليم اللغة، ترافقها أسطوانات في ست وخمسين لغة، وكورسات كاملة للتعليم الذاتي للغات في ثلاثين لغة. ولكنّ اللسانيات النظرية حصلت أيضاً على نصيبها من الغنيمة التي قدمتها الحكومة بدون حدود. وقد لاحظ مارتن جوس مجموعة البحوث التي جمعها ضمن اللسانيات البنيوية الأميركية أنه «في الجو المحموم للعمل أثناء الحرب تطورت النظرية اللسانية الأميركية أسرع مما فعلت قبل ذلك بكثير»[38]. وقد سببت نتائج هذا التطور زحاماً كبيراً على المطابع بعد رفع التحديدات التي فرضت أثناء الحرب على نشر المواد العلمية. فَثُلْثُ البحوث المنشورة في مجموعة جوس التي تغطي اللسانيات الأميركية حتى عام 1956، نشر في السنين الثلاث التي أعقبت الحرب. وقد نشر اثنان من الإسهامات الرئيسة في اللسانيات الأميركية وهما **الدليل الوجيز للدراسة العملية للغات الأجنبية** **Outline Guide for the Practical Study of Foreign Languages** الذي كتبه بلومفيلد، و **الوجيز في التحليل اللساني** **Outline of Linguistic Analysis** الذي كتبه بلوك وتراغر. نشر هذان العملان بواسطة برنامج التعليم المكثف (ILP) أصلاً، ثم أعاد نشرهما معهد القوات الأميركية المسلحة. ويُنسب إصدار الدوريات اللسانية الأميركية **دراسات في اللسانيات** **Studies in**

(*) في ملاحظة جانبية يقترح هايمز و فوت أن تجميع الشخصيات البارزة في اللسانيات الأميركية في بناية واحدة - هي 165 برودوياً في نيويورك ليعملوا على مواد تعليم اللغات للجيش الأميركي، يمكن أن يكون عاملاً رئيساً مسؤولاً عن الطابع التجريبي الشهير وسمة الخوف من الغرباء اللذين اتسمت بهما اللسانيات البنيوية الأميركية في هذه الفترة.

(35) W. Parker: **The National Interest and Foreign Languages,** (Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1954), p. 123.

(36) لمناقشة هذا الأمر أنظر: L. Bloomfield: «Twenty-one Years of the Linguistic Society», **Language,** 22, (1946) pp. 1-3.

(37) M. Grraves and J.M. Cowan: «Excerpt of Report of the First Year's Operation of the Intensive Language Program of the American Council of Learned Societies», **Hispania,** 25, (1942), p. 490.

(38) H. Joos: **Readings in Linguistics,** (Washington, D.C.: American Council of Learned Societies, 1957), p. 108.

Linguistics والكلمة Word وفقه اللغات الرومانسية Romance Philology إلى «النشاط المتسارع للسانيين خلال فترة الحرب»[39].

وبعد أن انتهت الحرب ملأ برنامج التدريب اللغوي لمعهد الخدمة الخارجية (FSI) التابع لوزارة الخارجية الفراغ الذي خلّفه إنهاء برنامج التعليم المكثف (ILP) والبرامج الأخرى المتصلة بالحرب. وقد تأسس معهد الخدمة الخارجية 1947 على إدراك «أن الدور الجديد الذي قُدِّر للولايات المتحدة الأميركية أن تلعبه في القضايا العالمية يتطلب كفاءة من الدرجة الأولى من جانب أولئك الذين يعملون في إدارة العلاقات الخارجية»[40]. وكان الهدف العام لتخصصات المناطق وتخصصات اللغات فيه (والتي كانت اللسانيات تدرس ضمنها) هو وجوب «اكتساب موظف الخدمة الخارجية فهماً معمّقاً للشعوب الأجنبية وأن يطور طرقاً مثمرة في الاتصال بهم وذلك للمساعدة في تثبيت السياسة القومية»[41]. وهنا في هذا المعهد يستطيع دبلوماسيو المستقبل أو الموظفون الإداريون، حين يسجلون على مسافات مثل «صياغة الرأي العام في البلدان الأجنبية» و «التنمية الاقتصادية في الدول النامية» أو «النفط والشرق الأوسط»، يستطيعون أن يدرسوا النظرية اللسانية على يد بعض أبرز اللسانيين البنيويين الأميركيين. وليس لنا أن نقلّل من أهمية هذا المعهد بالنسبة لحقل اللسانيات. ففي استعراض للوسط اللساني المهني، لاحظ عالم النفس التربوي جون لي كارول أنه «لكي يستطيعوا دعم برنامجهم لتعليم اللغات أصبحت مدرسة اللغات واللسانيات في معهد الخدمة الخارجية (FSI) «واحدة من المراكز الرئيسة للبحث اللساني في الولايات المتحدة الأميركية»[42].

وقد أضافت الحرب الباردة دافعاً جديداً واضحاً في إمبرياليته لدعم البحث اللساني. وقد شرح مورتيمر غريڤز في طلبه المزيد من المساعدات الحكومية السبب في كون الدراسات المتعلقة بـ «الحضارات المتنوعة» خارج حدودنا ذات أهمية حيوية لمصالحنا القومية:

> إن منتجات الصناعات الأميركية تنتشر في أرجاء العالم. فحيثما كان هناك طريق معبّد وجدنا سيارة أميركية؛ وينتج النفط الأميركي حيثما كان هناك نفط، ويستخدم النفط الأميركي حيثما استخدم النفط. ولدى البنوك الأميركية فروع أو صلات في كل مدينة أجنبية مهمة. ويندر أن نجد مكاناً حتى في أقاصي الكرة الأرضية ليس فيه مبشرون أميركيون أو مدرسة أميركية أو مَنْ لا يعرف الكلام الأميركي... ونصف قطارات الدنيا تسير على سكك مصنوعة في أميركا. وليس هناك إقليم ينأى عن دائرة اهتمام الدبلوماسية الأميركية وكثيراً ما يجب على القوات المسلحة الأميركية أن تستعرض قوتها في بلدان وبين شعوب لم يكن الجيل السابق ليعرف أسماءها.
>
> ويفترض، على هذا، أنه سيكون هناك الكثير من الأميركيين المزودين بالمعرفة العلمية والمفصلة لهذه الحضارات المتنوعة، وأن الولايات المتحدة ستقود العالم في دراسة البلدان الأجنبية مهما بعدت، وأنه لن يكون هناك مجتمع لا نجد فيه أميركياً ذا خبرة ومعرفة عنه، وأن البنية الأكاديمية الأميركية ستعكس هذا المنظور العالمي. وبشديد الأسف فإن الصورة الحقيقية هي تقريباً عكس هذه... فدراسة الكثير من الشعوب المهمة استراتيجياً وحضارياً لا مكان لها أبداً في الجامعات والكليات الأميركية[43].

---

(39) R. Hall: «American Linguistics, 1925-1950», **Archivum Linguisticum,** 3, (1951), p. 106.

(40) **FSI Catolog,** (Washington, D.C., 1949), p. 2.

(41) المصدر عينه، ص 41.

(42) J.B. Carrol: **The Study of Language,** (Cambridge: Harvard Univ. Press, 1951), p. 182.

(43) M. Graves: **A Neglected Facet of the National Security Problem,** (Washington, D.C., 1950), p. 2.

واللسانيات، وفقاً لغريفز، أكبر من أن تكون جزءاً واحداً من هذه الدراسة، بل إنها سلاح رئيس في الحرب الباردة:

> لقد بدأت الحرب العالمية الثالثة الإيديولوجية، وليس أكيداً أننا قد ربحناها. وبالرغم من أن هذه حرب على عقول البشر فإنه ليس هناك مجلس لرؤساء أركان يدير مثل هذه الحرب، وليس هناك سلطة إنتاج حربي تهتم بعُدَّة حرب مثل هذه. ففي مجتمعنا تترك هذه الأسئلة عموماً للمبادرة الخاصة من النوع الذي نراه في معهد جورج تاون للغات واللسانيات.
>
> في هذه الحرب على عقول البشر، من الواضح أن مدفعيتنا الثقيلة هي الكفاءة في اللغات واللسانيات(44).

وقد كان إقرار قانون الدفاع القومي للتربية في عام 1958 حقنة إنقاذ لحقل اللسانيات؛ فقد منحت المادة الرابعة دعماً مادياً لعدد كبير من طلاب الدراسات العليا في اللسانيات، بينما خصصت المادة السادسة لمعاهد معلمي اللغة، ومراكز اللغة والمناطق والزمالات لدراسة اللغة، وللبحث اللساني. وفي الواقع، كانت كل البرامج الأربعة في المادة السادسة تضم بحوثاً لسانية، وأكبرها كان المنحة البالغة (650,000) دولار لدراسة اللغات اليورالية ـ الألتيكية السائدة في الاتحاد السوفياتي. وليس هناك شك في أن استمرار هذا المستوى من الدعم للبحث اللساني كان مرتبطاً بنجاح اللسانيين في إقناع الحكومة الفيدرالية بأن نتائج بحوثهم ستساعد في تعليم اللغات وخصوصاً «اللغات الحرجة». وقد أكد ألبرت ماركوارت هذه الحقيقة وعلّق عليها بالقول إنه إذا «لم يستطع اللسانيون البنيويون أن يكونوا على مستوى المزاعم التي ادّعوها لعلمهم [من إمكانية تطبيقه على تعليم اللغات] ـ وتحدثوا عنها بصخب في معظم الأحيان، وبدون تواضع أو حذر ـ فإنهم سيكونون قد فوتوا الفرصة على أنفسهم وإلى الأبد. وليس من المبالغة القول إن قانون الدفاع القومي للتربية قد وضع اللسانيات على المحك. إن العبارة 'أرونا ما لديكم وإلا فاخرسوا'، قد تكون فجة بعض الشيء، ولكنها تصف الوضع بدقة»(45). وقد شرح كنيث ملدنبرغر، رئيس قسم تطوير اللغة في وزارة التربية في الولايات المتحدة الأميركية أنه في الوقت الذي لا توجد لقسمه سياسة رسمية تجاه اللسانيات، فإن لقسمه «إتجاهاً» حول الروح والنوايا التي تسير ضمنها كل البرامج التي يغطيها قانون الدفاع القومي للتربية. فقد كانت «رسالتها» تقوية تعليم اللغة وتوسيعه «ليلبي حاجات المصلحة القومية»(46). ثم كرّر تهديد ماركوارت للسانيين في «أن يرونا ما لديهم أو فليخرسوا».

لم يجد هذا الدعم الحكومي الخاص للبحث اللساني والذي كان في غاية الأهمية لتطور الحقل في الولايات المتحدة الأميركية، ما يوازيه في البلدان الأخرى، إلا في بريطانيا. وفي الواقع فإن الصلات بين الحكومة والوسط اللساني كانت قد صيغت عراها قبل الحرب العالمية الثانية بوقت طويل. ففي

---

(44) M. Graves: Comments in the Session entitled «Meeting the Government's Need in Languages», in **Report on the Second Annual Round Table Meeting on Linguistics and Language Teaching,** ed. J. De Francis, (Washington, D.C.: Grergetown University Press, 1951), p. 7.

(45) A. Marckwardt: «Linguistics and the NDEA», **Language Learning,** 9, (1959), p. IV.

(46) K. Mildenberger: «The National Defence Education Act and Linguistics», in **Report of the Eleventh Annual Round Table Meeting on Linguistics and Language Studies,** ed., 13. Choseed, (Washington, D.C.: Georgetown University Press, 1962), p. 161.

زمن مبكر جداً مثل عام 1798 نجد أن ماركيز ولزلي الذي كان الحاكم العام للهند في حينها، قد اقترح إنشاء معهد لدراسة لغات وحضارات الأمبراطورية. وقد تحقق هذا المشروع بالفعل في عام 1917 بإنشاء مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (SOAS) في لندن. وقد كانت الفكرة إنشاء مؤسسة «تلبي حاجات أمبراطورية تضم ما يقرّب من أربعمئة مليون شرقي». وفي حفل الافتتاح شرح السير جون هويت، رئيس مجلس إدارة المدرسة للملك جورج الخامس ضرورة مثل هذه المؤسسة:

أولاً: توفير مكان يستطيع فيه شبابنا الذين سيرتبطون بإدارة الأقسام الشرقية والإفريقية من الأمبراطورية أو حمايتها أن يتعلموا لغات الأقوام التي سيحتكون بها قريباً ويدرسوا آدابهم وأديانهم وعاداتهم، الأقوام التي سيعتمد نفوذهم عليها لدرجة كبيرة على ألفتهم بالشخصية والأفكار والمؤسسات الوطنية المحلية.

ثانياً: تدريب أولئك الذين سيذهبون إلى تلك البلدان لكي يعملوا في النشاط التجاري أو الأنشطة الأخرى، أو ليقوموا بالبحث العلمي والدراسة.

ثالثاً: تزويد عاصمة الأمبراطورية بملتقى وبؤرة تجمُّع للباحثين من الشرق من بلدانه المختلفة، ليطمئنوا إلى حسن استقبالهم في زيارتهم لهذا البلد، وحيث سيجدون في متناول أيديهم، إن هم رغبوا في ذلك، فرصاً للدراسة مع أولئك المنشغلين بنشاطات مشابهة»[47].

وقد أصبحت هذه المدرسة المركز الرئيس للبحث اللساني في بريطانيا. ولأن أهدافها تضمنت دراسة حضارات الشعوب التي كان للبريطانيين فيها «نفوذ» بالإضافة إلى لغاتها، فقد جرى مقدار كبير من البحث اللساني ذي التوجهات الإنسانية والاجتماعية في هذه المدرسة. غير أن اللسانيات البنيوية حصلت أيضاً على نصيبها الكبير من الموارد، وكما هو الحال في أميركا فإنها نضجت واستقلت خلال الحرب العالمية الثانية. فقد أدى طلب الحكومة البريطانية لعدد أكبر من الخبراء في لغات الشعوب التي سيكون العسكريون البريطانيون على صلة بها، أدى إلى دور متوسع لمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية عموماً، وكذلك فقد حُوِّل ميزان القوى نحو البحث القواعدي الصرف بشكل كبير. وقد مضى الكثيرون ممن أتقنوا طرق التحليل البنيوي أيام الحرب في هذه المدرسة إلى تشكيل أول أقسام وأولى دوائر اللسانيات والصوتيات في شمال ويلز، وغلاسكو، وليدز ومانجستر وسواها[48].

وبعد الحكومة، كانت الكنيسة أهم قوة دعمت البنيوية في الولايات المتحدة الأميركية، ولدرجة أقل في بريطانيا؛ فقد امتد نشاط إرساليات التبشير المسيحية منذ القرن السادس عشر في تحضير قوائم كلمات وتوصيفات قواعدية للغات الأقوام المغلوبة في الأمبراطوريات الأوروبية الاستعمارية. ولكن في الأربعين سنة الأخيرة ازداد تأثير هؤلاء المبشرين لدرجة أنهم، ولو أن هذا قد يبعث على الدهشة، يلعبون الآن دوراً رئيساً في الدراسات اللسانية. وينبع ارتباطهم بهذه الدراسات مباشرة من أهداف المسيحية الإنجيلية التبشيرية وهي تحويل كل بني البشر إلى المسيحية. والحجر الأساس في معتقداتهم هو الكلمة كما تتجلّى في **الكتاب المقدس**. غير أن هذا **الكتاب المقدس** لم

---

(47) J. Hewitt: «remarks at the opening Ceremony of the School of Oriental Studies», **Bulletin of the School of Oriental Studies,** 1, (1917), p. 26.

(48) لمناقشة عامة، أنظر: R.H. Robins: «General Linguistics»

يكن مترجماً إلا إلى أقل من نصف لغات العالم؛ وفي الواقع فإن غالبية هذه اللغات ما زالت غير مكتوبة. ولأن التحليل الجيد للغة من اللغات ييسر إلى حد كبير خلق نظام كتابة لها ـ والترجمة إليها بعدئذٍ، فإن مثل هذه التحليلات أصبحت خطوة تمهيدية مهمة لعملية التنصير.

وتمارس عدة منظمات البحث اللساني كتمهيد لترجمة **الكتاب المقدس**، ولكنها لا يمكن أن تصل في حجمها ونفوذها وحضورها إلى معهد اللسانيات الصيفي (SIL). وحتى عام 1978 كان في المعهد 3700 عضو يعملون على 675 لغة في تسعة وعشرين بلداً، وهذا العدد في تزايد مستمر. ومنذ بدايات هذا المعهد في أواخر الثلاثينات قام بنشر آلاف الكتب ومقالات المجلات العلمية والتقارير الفنية في اللسانيات. وقد ارتبط به بعض الشخصيات البارزة في اللسانيات البنيوية الأميركية. وفي الواقع، فإنه يندر أن تخلو اللجنة الإدارية لجمعية اللسانيات في أميركا من واحد على الأقل من أعضاء هذا المعهد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن معهد اللسانيات الصيفي يرسل إلى الخارج عدداً أكبر من أعضاء المبشرين من أية جمعية تبشيرية بروتستانتية.

ويكتب يونس پايك وهو واحد من أبرز أعضاء المعهد أن عاملاً واحداً هو الذي يوحد بين أعضاء هذا المعهد ـ ألا وهو الإيمان بأن يكون باستطاعة كل فرد أن يجد **الإنجيل** بلغته. وبالإضافة إلى هذا الإيمان فإن كل عضو يشعر بأنه مسؤول لحدٍ ما عن تحقيق هذا الهدف(49). ونتيجة ذلك هو أن حقل اللسانيات في كثير من أنحاء العالم نُظر إليه بأنه وهذا المعهد شيء واحد. وكما قال أحد المعلقين فإن «جيش [أعضاء المعهد] يغطي أقاليم أوسع من تلك التي تحتلها القوات المشتركة لكل اللسانيين الآخرين مجتمعين»(50).

وقد صاحب نشاط معهد اللسانيات الصيفي جدل سياسي حاد. فمن أجل أن يقوم هذا المعهد بعمله يتوجب عليه أن يحصل على موافقة حكومة البلد الذي توجد فيه اللغة موضوع البحث. ولأن أي حكومة من حكومات العالم الثالث، سواء كانت كاثوليكية محافظة أو علمانية راديكالية سيكون لديها بعض الشكوك في عمل أي مجموعة بروتستانتية إنجيلية تبشيرية علنية من شمال أميركا داخل أراضيها، فإن هذا المعهد يصوّر نفسه في الخارج كمنظمة علمية وثقافية فقط. (غير أن أهدافه التبشيرية تتكشّف في الإسم الذي يستخدمه لجمع التبرعات من المؤمنين في الولايات المتحدة الأميركية: مترجمو كتاب ويكليف المقدس). وبالإضافة إلى ذلك، فعلى الرغم من أن معهد اللسانيات الصيفي يتبع دوماً سياسة عدم معارضة حكومة أي بلد يعمل فيه، فقد حصل أن طُرد عدة مرات ومن بلدان مختلفة بعد تغيّر النظام الحاكم فيها.

يتّسم التوجه السياسي لمعهد اللسانيات الصيفي بأنه محافظ شديد المحافظة (وتساوي الشيوعية والشيطان موضوعة ثابتة في أدبياته)، وتروج اتهامات عريضة بأنه، وفي العديد من الحالات، ناب عن بعض الحكومات المحلية، وبخاصة حين تلاقت مصالح تلك الحكومات المباشرة مع مخططات السياسة الخارجية الأميركية. وفي الواقع، هناك اتهامات بأن هذا المعهد قد ذهب إلى حد وضع موارده تحت تصرف الشركات العالمية التي تتخذ من الولايات المتحدة الأميركية مركزاً لها ووكالة الاستخبارات المركزية (CIA). إلى جانب ذلك، فإن الكثيرين يشعرون بأن عمل هذا

---

(49) E. Pike: «Historical Sketch», in **The Summer Institute of Linguistics,** ed., R. Brend and K. Pike (The Hague: Mouton, 1977), p. 11.

(50) C.F. Vogelin: cited in E. Wallis and M. Behnett: **Two Thousand Tongues To Go,** (New York: Harper and Row), p. 131.

المعهد كان «أمركة» الشعوب بالإضافة إلى تنصيرها، وهذا يعني التعجيل بتدمير الحضارات المحلية في المناطق التي يعمل فيها.

ومن ناحيته، ينفي معهد اللسانيات الصيفي أي اتهام بتورطه سياسياً، ويصرّ على أن تأثيره على حضارة سكان البلاد الأصليين كان إيجابياً. ويشير هذا المعهد باعتزاز إلى دوره في حملات محو الأمية في العالم الثالث ويزعم أنه يساعد في تخفيف الصدمة التي يعاني منها السكان المحليون حين يواجهون بالحضارة الغربية عن طريق تزويدهم بالمهارات التي سيحتاجونها لكي يستطيعوا التعامل مع مجتمع غربي.

وفي حين أنه من غير المحتمل أن يخف الجدل المحيط بهذه المنظمة في السنين القادمة، فإنه لا شك إطلاقاً في أن «جيش» هذا المعهد الذي خدم فيه عشرون ألفاً من الذين جندوا منذ 1938، قد وفّر للسانيات البنيوية الأميركية حضوراً عالمياً يفوق ما تأمل البنيوية بتحقيقه في أي بلد آخر[51].

وخلاصة القول فإن عوامل مهمة ـ التأكيد على التساوي بين اللغات، المركز الرفيع للعلم، ودعم الحكومة والكنيسة اجتمعت لكي تعطي اللسانيات البنيوية موضعاً مهماً في الولايات المتحدة الأميركية في منتصف الخمسينات، وهو موضع فشلت في تحقيقه في القارة الأوروبية. وضمن هذا السياق الأميركي، ستظهر نظرية جديدة للبنية اللغوية، نظرية من داخل التراث اللساني المستقل، ولكنها في الوقت عينه ترفض الكثير من الافتراضات الجوهرية للمقاربات البنيوية السابقة.

---

(51) توجد أدبيات كبيرة حول العواقب والتأثيرات السياسية والحضارية لعمل المعهد الصيفي للسانيات. لمثال على الانتقادات، أنظر:

S. Hvalkof and P. Aaby, eds.: **Is God an American?** (Copenhagen: International Work Group for Indigenous Affairs, 1981); D. Stoll: **Fishers of Men or Founders of Empire?** (London: Zed Press, 1982); «The Wycliffe Bible Translators: Not Telling the Whole Story», **The Other Side,** February 1983, pp. 5-7.

وللكتابات التي تدافع عن نشاطات هذا المعهد، أنظر:

R.L. Canfield: «Accusation as 'Anthropology»', **Review in Anthropology,** 10, (1983), p. 55-61; w. Christie: review of **Is God an American?** in **Languages for Peace,** October 1983, W. Kornfield: «'Fishers of Men or Founders of Empire?'», «Evangelical Missions Quarterly, Oct. 1983, pp. 308-13; J. Yost: «We Have a Mandate», **The Other Side,** February 1983, pp. 7-9.